التقديس في الفكر المسيحي و آثاره في تشكل العقائد والطقوس الليترجية

Sanctification in Christian thought and its effects on the formation of beliefs and liturgicalrituals

يخلف سهام[1]
كلية العلوم الإسلامية الخروبة جامعة الجزائر 01 – الجزائر
s.ikhlef@univ-alger.dz
أ.د سعيد رحماني
كلية العلوم الإسلامية جامعة محمد بوضياف – الجزائر
Said.rahmani@univ-msila.dz

تاريخ الوصول 2021/04/10 القبول 2022/01/20 النشر على الخط 2022/03/15
Received 10/04/2021 Accepted 20/01/2022 Published online 15/03/2022

ملخص:

يتناول هذا البحث تقديم دراسة تحليلية نقدية لظاهرة التقديس في المسيحية ، من خلال البحث عن معانيها اللاهوتية في الفكر المسيحي وتتبع تاريخ نشأتها ، ثم البحث عن أهم الأسباب التي ساعدت في ظهورها والتي توزعت ما بين أسباب فكرية وسياسية ، ثم استنتاج أهم آثار هذه الظاهرة على الفكر الديني المسيحي وعلى المظاهر الطقسية في الكنيسة المسيحية .

الكلمات المفتاحية: التقديس، أسبابه ، آثاره ، العقائد المسيحية ، الطقوس الليترجية.

Abstract:

This research consists of presenting a critical analytical study of the phenomenon of sanctification in Christianity, researching its theological meanings in Christian thought and tracing the history of its creation, then looking for the most important causes that contributed to its emergence and that were divided. Between intellectual and political reasons, then deduce the most important effects of this phenomenon on the thought of Christian religious and on liturgical manifestations in the Christian church.

Keywords: Sanctification, its causes, effects, Christian doctrines, liturgicalrituals.

[1]– المؤلّف المراسل: يخلف سهام البريد الإلكتروني: **s.ikhlef@univ-alger.dz**

1. مقدمة:

لقد مرت المسيحية في تاريخها الطويل بأحداث مختلفة ،في مقدمتها الاضطهادات التي وقعت على المسيحيين من طرف القياصرة الرومان وكان الحدث المفصلي في تاريخ هذه الديانة اعتراف الإمبراطور قسطنطين بها كديانة رسمية للإمبراطورية الرومانية ولكن بحكم أن للإمبراطورية تراث وثني وفلسفي يغوص في الأفلاطونية المحدثة والغنوصية والمثيولوجيا اليونانية القديمة فنجد أن المسيحية قد تشربت من كل هذا الفكر فظهرت فيها عقائد جديدة و أشكال طقسية كان في مقدمتها ظاهرة تقديس الأشخاص التي أصبحت فيما بعد قاعدة تقوم عليها المنظومة الفكرية اللاهوتية للديانة المسيحية.

و يكتسب البحث أهميته في ظل الحاجة إلى دراسات تبحث في عمق الفكر اللاهوتي المسيحي لمحاولة معالجة وفهم أصل العقائد المسيحية ومختلف الطقوس التي صاغتها الكنيسة وجعلتها قانونا يتهم بالهرطقة كل الخارجين عليها.

و تتلخص مشكلة البحث في استيضاح ماهية التقديس كظاهرة طارئة على الديانة المسيحية والفكر اللاهوتي المسيحي ككل والبحث عن أهم أسبابها ثم استنتاج آثارها ومنه نطرح المشكلة التالية :ماهي مكانة التقديس في الفكر اللاهوتي المسيحي؟ والتي تتفرع عنها الأسئلة التالية : ما هو تاريخ نشأة الفكر التقديسي في المسيحية؟ وما هي أهم اشتقاقاته ومعانيه اللاهوتية؟ وماهي أسباب وظروف نشأته؟ ، ثم كيف كانت آثاره على الكنيسة وعلى الدوغما المسيحية ؟ .

و لقد كان اختيارنا لهذا البحث نتيجة أهداف معينة أردنا الوصول إليها ومن بينها محاولة استقراء اللاهوت المسيحي والبحث عن أهم المعطيات التي ساهمت في تشكيله وباعتبار أن ظاهرة التقديس كانت من أهم القواعد التي بني عليها الفكر اللاهوتي المسيحي أردنا دراستها والبحث فيها لكشف الغموض عن كثير من العقائد المسيحية ، والطقوس الليترجية.

و لتحقيق الأهداف سالفة الذكر تم استخدام المنهج الوصفي في عرض مفهوم التقديس وتاريخ نشأته في المسيحية ، ثم أتبعناه بالمنهج التحليلي للبحث عن أسباب نشأته وفي الأخير من أجل البحث عن آثار التقديس اتبعنا المنهج التحليلي النقدي

وقد قسمنا خطة بحثنا كالتالي :

- مقدمة
- مفهوم التقديس
- تاريخ نشأة الفكر التقديسي في المسيحية
- أسباب نشأة ظاهرة التقديس في المسيحية
- آثار الفكر التقديسي في المسيحية .
- خاتمة.

2. تعريف التقديس:

2 .1 لغة : يوجد معاني كثيرة لهذه الكلمة في معاجم اللغة العربية منها :

قال الجوهري "القدس والقدس : الطهر، اسم ومصدر ،و التقديس :التطهير ، وتقدس :أي تطهر ، والأرض المقدسة :المطهرة "[1]
وقال ابن منظور :"التقديس : تنزيه الله عز وجل ، ويقال القدوس فعول من القدس وهو الطهارة ، والتقديس : التطهير والتبريك ، والقدس البركة ، والأرض المقدسة الشام ، وبيت المقدس من ذلك أيضا ، وهو يخفف ويثقل ، والنسبة إليه مقدسي ، ومقدسي ، قال أمريء القيس :

فأدركنه يأخذن بالساق والنسا ،كما شبرقت الولدان ثوب المقدسي

أي: أدركت الكلاب الثور فأخذن بساقه ونساه ، وشبرقت جلده ،كما شبرقت ولدان النصارى ثوب الراهب المقدسي وهو الذي جاء من بيت المقدس فقطعوا ثيابه تبركا بها ، ويقال للراهب مقدس وصبيان النصارى يتبركون به ، ويمسح مسحه الذي هو لباسه ، والمقدس : الحبر ، والمقدس المبارك[2]

ومما سبق يتبين لنا أن مادة "قدس" تعود إلى معنى التنزيه ،والتطهير والتبريك .

2 .2 اصطلاحا :

أما اصطلاحا فقد ورد في معجم اللاهوت الكتابي :

يشتق اللفظ السامي " قوديش" الذي يعني الشيء المقدس والقداسة من مصدر يفيد دون شك " القطع أو الفصل " الذي يعني ، ويوحي بفكرة المنفصل عن الإستعمال العادي .

فالأشياء المقدسة هي تلك التي لا يجوز لمسها أو الإقتراب منها إلا بمراعاة بعض شروط خاصة بالطهارة الطقسية ، ولما كانت مشحونة بديناميكية ، وبسرية وبجلال ، نستطيع أن نستشف منها ما هو فائق للطبيعة ، فهي تثير شعورا مزدوجا من الرهبة والجاذبية ، يجعل الإنسان يعي صغر شأنه أمام هذه المظاهر ذات الطابع الإلهي .

إن الكتاب المقدس يعطي لمفهوم القداسة معان أروع بكثير ،فهو لا يكتفي بوصف ردود فعل الإنسان أمام ماهو إلهي ، وبتحديد القداسة من الناحية السلبية ينفي ما هو دنيوي ،وإنما هو يحتوي على وحي الله نفسه ، ويعرف القداسة بالرجوع إلى مصدرها عينه في الله الذي من لدنه تستمد كل قداسة ، ولكن تبعا لذلك يعرض الكتاب المقدس المشكلة الخاصة بطبيعة القداسة التي هي في آخر الأمر مشكلة سر الله ، واشتراك البشرية فيها ، فتتخذ هذه القداسة أولا طابعا خارجيا بالنسبة للأشخاص والأماكن والأشياء التي تجعلها "مقدسة " ، ولا تصبح حقيقية وباطنية إلا بموهبة الروح القدس ذاته ، وعندئذ تنتشر المحبة التي هي الله نفسه بانتصارها على الخطيئة التي كانت تحول دون إشعاع قداس.[3]

و منه نستنتج أن للتقديس في المسيحية معاني روحية سامية.

---

[1] أبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري :معجم الصحاح ، ج3 ، ط1 ، دار الحديث ، القاهرة ، 1956 التقديس ، أسبابه ، آثاره ، العقائد المسيحية ، الطقوس الليترجية ، ص960، 961 .

[2] أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري : لسان العرب ، مادة قدس ، ج1 ، دط ، دار صادر بيروت ، لبنان ، د ت ، ص 268/267 .

[3] مجموعة من المؤلفين : معجم اللاهوت الكتابي ، ط3 ، دار المشرق ، بيروت ، لبنان ، 1991 ، ص620 .

3. نبذة عن تاريخ التقديس في المسيحية :

لو تتبعنا مصطلح التقديس فإننا سنجد الكتاب المقدس يعج بهذه الكلمة :

"متى جاء المعزي[1] الذي سأرسله أنا إليكم روح الحق الذي من عند الآب ينبثق فهو يشهد لي " [2]، وفي العهد القديم نقرأ عن أنواع من الحلول مفاجئة فردية " لروح الرب [3]حينما كان يحل على الأنبياء متكلما فيهم ، ولكن لم يكن حلولا أقنوميا بل بقوته الكاشفة للحاضر و المستقبل ، وفعله التنبؤي فقط ... لم يكن له في العهد القديم أثر واضح دائم في طبيعة الإنسان ...

أما ابتداء من يوم الخمسين فهو يحل بكل هباته وعطاياه ، يحل بشخصه كمحي ومعزي ومبكت .

كان يعرف في العهد القديم "روح الرب " . أما في يوم الخمسين فاستعلن أقنومه المتميز " الروح القدس " واستعلنت صفته الخصوصية " الباركليت " (المعزي) .[4]

وفي الحقيقة نجد أن يحمل الروح القدس ، وتعرفنا عليه كأقنوم قد بدأ قبل يوم الخمسين إذ نقرأ أنه حل على العذراء بصفته الأقنومية لتحمل في بطنها الابن متجسدا ، ومن هنا جاء تقديس مريم العذراء ، ثم نقرأ عنه في عماد الرب لما حل عليه في الأردن ليمسحه للخدمة ، ثم مرة أخرى أنه أقام يسوع المسيح حيا من بين الأموات ، ومنها جاء تقديس المسيح .

ولما انسكب الروح القدس على التلاميذ حصل تجديد واضح في طبيعتهم ، بل نستطيع أن نقول أن طبيعتهم تغيرت معالمها تغيرا كليا ؛لقد صاروا شيئا جديدا ، أو بلغة الكتاب صاروا أناسا آخرين ، وأصبح التلاميذ المجتمعون في العلية قوة جديدة من نوع لم تألفه البشرية قبل ذلك ، ويهمنا أن نلاحظ أن التغيير أو التجديد لم يكن فرديا بل جماعيا ، أما هذه المواهب وهذه التغيرات التي ظهرت على التلاميذ في حياتهم ، وسلوكهم كانت مظاهر ، ونتائج ثانوية تنبئ بما حدث في الطبيعة البشرية ممثلة في التلاميذ والرسل الذين تعتبرهم الكنيسة الأولى (كنيسة الرسل) ومن هنا جاء تقديس التلاميذ والآباء الذين عاصروهم .[5]

إذن فللتقديس تاريخ طويل يبدأ منذ خلق المسيح في بطن مريم بل هناك من العلماء من يرجع به إلى عصر الآباء في اليهودية حيث كان يحل محله مصطلح البركة.

4.أسباب تقديس الأشخاص عند المسيحيين:

لو بحثنا في أسباب التقديس في الفكر المسيحي فإنا سنجد أنها متفرقة ومختلفة من الأسباب السياسية والفكرية نذكر منها :

4 .1 دور الديانات الوثنية :

لقد نادى المسيح ــ عليه السلام ــ بأنه لم يرسل إلا لخراف بني إسرائيل الضالة ،بل نهى أتباعه عن الذهاب إلى قرى غير اليهودية، إلا أن أتباعه فيما بعد خالفوا ذلك ، وتوجهوا إلى الوثنيين من الرومان واليونان والفرس ، وغيرهم في المناطق المجاورة ، والأماكن التي

---

[1] يقصد بالمعزي هنا روح القدس .

[2] يو 15 : 26

[3] أش : 61 :6

[4] متى المسكين : العنصرة ، د ط ، د ن ، 1960 ، د ب ، ص 13 .

[5] متى المسكين : المرجع نفسه ، ص 17

أمكنهم الوصول إليها ، ولما كانت الديانة المسيحية تفتقر للمقومات التي تكفل لها التأثير في تلك المجتمعات ، حيث كانت دعوة لبني إسرائيل خاصة ، وليس لها الصيغة العالمية التي يمكن أن تتغلب بها على تلك الأديان والفلسفات لذا فقد غلبت و أمكن للديانات الوثنية أن تصيغها بصيغتها بل ألغتها تماما ، واحتلت مكانها ، وأخذت مسماها ؛ هذا ما أكده علماء الأديان والتاريخ ، ضف إلى ذلك اصطباغها بالصبغة الوثنية فقد أخذت عقيدتها وعبادتها من تلك الوثنيات[1] ، فضمتها اليها ، ووضعت عليها اسمها ومن الأمثلة أن النصارى قد رددوا عقائد الوثنيين الذين كانوا قبلهم ما يلي :

– أن التثليث موجود عند الهنادكة والبوذيين قبل النصارى ، وفي هذا يقول فابر في كتابه (أصل الوثنية) : "وما نجد عند الهنود ثالوثا مؤلفا من براهما ، وفشنو ، وسيفا ، هكذا نجد عند البوذيين فإنهم يقولون : إن بوذا اله ، ويقولون بأقانيمه الثلاثة .....)

كما كان يوجد ذلك أيضا لدى المصريين والفرس واليونان والرومان و الأشوريين والفنقيين ،الاسكندنافيين والتتر والمكسكيين والكنديين .

وكذلك المصريين القدماء كانوا يعتقدون أن الآلهة ثلاثة وهم : (أتوموشووتفنوت)، أو أوزريس ، وحورس .

– إن الصلب –فداء للبشر – عقيدة وثنية كانت موجودة لدى الهنادكة ، وفي هذا يقول هوك في كتابه (رحلة هوك) : ويعتقد الهنود بتجسد أحد الآلهة وتقديم نفسه ذبيحة فداء عن الناس من الخطيئة .

وقال (داون) في كتابه (خرافات التوراة والإنجيل) ما نصه : ويعتقد الهنود بأن كرشنا المولود البكر الذي هو نفسه الإله فشنو ، والذي لا ابتداء ولا انتهاء له على رأيهم ، تحرك حنوا كي يخلص الأرض من ثقل حملها ، فأتاها وخلص الإنسان بتقديم نفسه ذبيحة عنه .

وقالت (ميسر جيمسون) في كتابها (تاريخ سيدنا من الآثار): كان الملثيون يمثلون الإنسان مصلوبا مقيد اليدين والرجلين بحبل خشبة وتحت رجليه صورة حمل ، والسوريون يقولون أن تموز الإله المولود البكر من عذراء تألم من أجل الناس ، ويدعونه المخلص ، والفادي والمصلوب .

– الاعتقاد بأن الإله تجسد وولد من عذراء هو كذلك من عقائد الوثنيين ففي هذا يقول (دوان) في كتابه السابق : " والهنود يقولون أن كرشنا هو ابن العذراء التقية الطاهرة ديفاكي ويدعونها والدة الإله .

ويقول المصريين إن حورس المخلص ولد من العذراء ازيس وأنه المنبثق الثاني من عامون ، ويقولون : الابن المولود ويصورونه أما على يدي أمه أو على حضنها " .[2]

فهذه أمثلة واضحة على تأثر الديانة النصرانية بالأديان الوثنية قبلها، بل إن الأديان الوثنية تغلبت على ديانة المسيح، وصبغتها بصبغتها ، وقد صرح المؤرخ (هـ فيشر) بذلك التشابه حيث قال : "....غير أنه ليس ثمة شك أن اتخاذ المسيحية –فيما بعد ديانة رسمية للبلاد –يعني الإمبراطورية الرومانية – يساعد على ازدياد صفوف المسيحيين زيادة سريعة ، خاصة و أن التحول عن الوثنية إلى المسيحية لم يكن انتقالا إلى جو غريب تمام الغرابة، أو شعورا بإنقلاب مباغت مفاجئ ، بل بدا الولوج في المسيحية عملية رقيقة

[1] علوي بن عبد القادر السقاف : موسوعة الأ ديان ، الدرر السنية www dorar.net ، 2020/10/14 /4 :46

[2] أبكار السقاف : الدين في مصر والعصور القديمة وعند العبرانيين ، ط1 ، دار الانتشار العربي ، بيروت ، 2000 ، ص82 .

في كثير من التدرج الشعوري العاطفي ، إذ شابهت طقوس الديانة المسيحية وأسرارها المقدسة ما للديانة القديمة من طقوس و أسرار ، كما اشتملت تعاليمها على تعاليم الأفلاطونية الحديثة يضاف إلى ذلك القول بوجود واسطة بين الله والناس أمر مألوف عند الفرس ، وأهل الأفلاطونية الحديثة[1] سواء .[2]

وفي الموضوع نفسه يقول (شارل جنبير) رئيس قسم تاريخ الأديان في جامعة باريس : " إن المسيحية لم تكن تستطيع المدافعة أمام هذه النزاعات والشعائر السائدة ، وإذ كانت –أي النصرانية – قد انتصرت في القرن الثالث على سائر ألوان (التأليف) الديني الوثني ، فذلك لأنها كانت قد تطورت هي الأخرى إلى تأليف ديني تجتمع فيه سائر العقائد الخصبة والشعائر الجوهرية النابعة من العاطفة الدينية الوثنية ، قامت هي –أي النصرانية بترتيبها وتركيبها ، وأضفت عليها الانسجام الذي تفتقر إليه ،بحيث استطاعت أن تقف بمفردها أمام شتات المعتقدات والشعائر التي يؤمن بها أعداؤها دون أن تظهر ضعفا أو نقصا عليها في أي من المجالات الهامة .[3]

وتمت ظاهرة التشرب هذه وهي من الظواهر الأساسية في تاريخ المسيحية في بطيء معتمدة على الاتصال الدائب بتطور الإيمان بين جميع طبقات المجتمع الوثني ، ذلك المجتمع الذي اختلفت فيه صور الإيمان باختلاف بيئته و باختلاف العهود التي مر بها ، وإنها لظاهرة تفسر لنا كيف جاء العصر الذي استطاعت فيه المسيحية أن تكسب عطفا نشيطا بين رحاب العالم اليوناني والروماني ، فهذا يكفي للدلالة على تشرب الديانة النصرانية للأديان الوثنية التي توجهت إليها ، وهذا في عرف الدين الحق انحلال ، وكفر بالدين الإلهي الذي يجب أن يكون صحيح النسبة إلى الله تعالى ، في أصوله وفروعه نقيا في عقائده وتشريعاته من خرافات البشر ، واملاءات الشياطين .

–كيفية تشرب الديانة النصرانية للأديان الوثنية :

إن الناظر في كبار الدعاة إلى النصرانية في العصور الأولى ، والذي يشار إليهم بأنهم من أعظم الناس تأثيرا في الديانة النصرانية ، هم فلاسفة متعمقون في الفلسفات الوثنية ، وبعد تنصرهم نقلو تلك الفلسفات معهم إلى الدين الجديد ، وحاولوا أن يسدوا الثغرات التي يجدوها في الديانة النصرانية بمزيج من الفلسفات التي كانوا عليها من قبل ، ومن هؤلاء الذين كان لهم دور في ذلك :

بولس (شاؤول اليهودي) ، يوستينوس ، ثيوفيلوسالأنطاكي ، تاتيان السوري ، أثينا غوراسالأثيني ، ثيوفيلوس الأنطاكي ، اكلمندس السكندري ، أوغسطين .[4]

ولا نريد الإطالة في سرد هذا الموضوع ، إنما المراد الإشارة إلى أن العقائد الأجنبية التي اصطبغت بها النصرانية دخلتها عن طريق هؤلاء وأمثالهم الذين كانوا روادا في بداية انطلاقها إلى البلدان الوثنية فقد عبرت إلى الوثنيين عن طريق هؤلاء المتشبعين بالفلسفات

---

[1] الأفلاطونية المحدثة : هي احدى الموجات الفكرية التي انطلقت في القرون الأولى للميلاد من الإسكندرية التي كانت عاصمة للعلم والفكر وتعتبر وليدة أفكار أفلاطون القديمة ، منبثقة منها ، محدثة عنها ولقد كانت آخر الحركات الفلسفية التي طلعت بها العبقرية اليونانية عند انفتاحها على الشرق منتجة بذلك مذهب فلسفي شامل يمكنه تلبية مطامح الإنسان وحاجاته العقلية والدينية والأخلاقية وذلك بتقديم صورة شاملة للكون متسقة منطقيا ، جميلة فنيا تحقق للإنسان الخلاص : نقلا عن شيرين كمال محمد : أثر الأفلاطونية المحدثة في اللاهوت اليهودي ، ط1 ، دار حورس الدولية ، الإسكندرية ، مصر ، 2018 ، ص 15/14 .

[2] علوي بن عبد القادر السقاف ، المرجع السابق .

[3] شارل جنبير : المسيحية نشأ تها وتطورها ، تر : عبد الحليم محمود ، ط1 ، منشورات المكتبة العصرية ، بيروت ، لبنان ، ص 50 .

[4] أبو عبد الرحمان الغريب : الجذور الوثنية لعقيدة الصلب والفداء ، ط1 ، دن ، دم ، دت ، ص 18.

والوثنيات ، حيث صبغوها بفهومهم ومعارفهم وعقائدهم السابقة ، وقدموها للناس شارحين ومدافعين ديانة مخلوطة بالفلسفة الوثنية في ثوب ديانة توحيدية سماوية .

وهنا نقدم لمحة سريعة لبعض التأثيرات الوثنية الأساسية التي ساهمت في تشكيل هذه الظاهرة الدينية الكبيرة (المسيحية) وتأسيس التقديس كقاعدة متينة لها :

لقد جاء التأثير الإيراني من الديانة المزدكية الوثنية ، ومن أسرار معبودهم مثرا وكان المؤرخ الديني الفرنسي أرنست رينان يرى أن هذا الدين الإيراني كان منافسا خطيرا للمسيحية في أيامها ، وهناك أيضا التأثير الفرعوني خاصة أسرار ايزيس التي كانت حميدة الخصال ، رفيعة الأخلاق ، والتي رأى فيها ألكسندر موريه مقدمة للدين المسيحي الذي جاء بعدها ، ويأتي بعد ذلك التأثير اليوناني ، وخاصة من الأورفية التي تشابه روح المسيحية تشابها كبيرا كما ذكر ذلك الكاتب المؤرخ أندريه بولانجيه ، ويضاف إلى الأورفية ديانة ديونيزوس وأسرارها والفيثاغورية التي ركز بعض العلماء مثال ايزدور ليفي على تشبيه فيثاغورس بما آلت إليه شخصية المسيح ، ثم هناك الأفلاطونية التي يعترف بتأثيرها آباء الكنيسة أنفسهم مثل القديس أوغسطين ، والمعروف أن الأفلاطونية هي جوهر الميتافزيقا اليونانية المصرية التي ازدهرت في الإسكندرية ، ثم صارت جوهر الميتا فزيقا المسيحية ؛ بعد ذلك نجد الغنوصية الملفقة أصلا ، وقد كانت الغنوصية هي التي أدخلت إلى المسيحية كثيرا من الأديان الوثنية الشرقية وهنا لبد من القول على عكس ما يشاع ، أو ما يكتبه بعض الكتاب المسيحيين أن الغنوصية[1] ليست مذهبا مسيحيا مهرطقا ، فهي أقدم من المسيحية ، وليست بالتالي تيارا منها ، أو هرطقة بل إن العكس صحيح فإنجيل يوحنا أصلا هو نقل للفكر الغنوصي ، بل هو غنوصية ذات وجه مزدكي إيراني ، خاصة حين يتحدث عن صراع نور الكلمة مع الظلمات ، أو صراع الحق مع الكذب ، ثم إن بولس نفسه استعار واستخدم الكثير من اللغة الغنوصية وان كان قد صاغها بطريقة مغايرة .[2]

في المقابل لبد لنا نحن المؤرخين من أن نقول ما يثير اعتراض بعض المعترضين ونعترف بأن الكنيسة لم تظهر عدائها التام للوثنية ، فقد كانت الكنائس تقام على أنقاض المعابد الوثنية ، بل كثير ما نجد المسيحيين يكتفون بتطهير المعابد القديمة ، أو إضافة بعض اللمسات عليها من أجل تحويلها إلى كنائس .

وقد كان للمصريين حظا في تقديس الأشخاص ورؤية بطل مخلص وبهذا الصدد تقول أبكار السقاف :"ولكن هذه القصص عن النبؤات يطالعنا من ورائها شيء آخر ، يطالعنا لون يرى فيه كيف كانت الأقاصيص عن القدامى تقص ، وأسماؤها تلحق ألوانا من المعجزات والنبؤات ..... مثلا "نبؤات خفرع " ، فقد كتبت هذه البردية في الدولة الحديثة ، فعن المجد التليد تجري قائلة : أنه قبل أن تكون الأهرامات نادى "سفرو " "انيه" ، وسأله بما تطلعه به مطالع الأيام فقال اني لأرى في الأفق البعيد الآسيوين يقتحمون حرمة البلاد ، فأراها هي في أبأس حالات البؤس وستنقلب الأوضاع ، ولكن أرى ملكا يأتي من الجنوب باسم "أمني" (تقصير

[1] الغنوصية : هي حركة فلسفية يونانية نشأت في العصر الهيلنستي يدعي أتباعها معرفة أسرار الكون والغيوب المستقبلية من خلال التأمل الفلسفي ، وتقوم على أن الخلاص يتم عن طريق المعرفة والحكمة أكثر مما يتم عن طريق الإيمان والأعمال الخيرة ، وصرحو بأنهم يتعرفون على الأسرار الخفية للكون عن طريق الإ تصال بالله والإتحاد به اتحادا حقيقيا ، ويشددون على التجارب الصوفية السرية الشاقة ، فهي عندهم الطريق المضمون الموصل إلى الكشف والعرفان : نقلا عن حمد أحمد محمد عبد القادر ملكاوي : الغنوصية نشأتها وصلتها بالفلسفة اليونانية ،دط ، دن ، دم ، دت ، ص 56 .

[2] أبو عبد الرحمان الغريب : المرجع السابق ، ص19.

لأمنحوتب ابن نوبية)، ووليد مصر العليا .....سيتلقى حسنه التاج الأبيض والأحمر ، وسيوحد الأرضين بنشر السلام فطوبى لكم يا أبناء ذلك الزمن .، فلقد أتى ابن الإنسان ."[1]

ومنه نستنتج أن للديانات الوثنية وفي مقدمتها المثيولوجيا اليونانية دور كبير في ترسيخ التقديس في الفكر المسيحي . لإضفاء الصبغة الشرعية على العقائد المسيحية قامت الإمبراطورية الرومانية بعقد العديد من المجامع المسكونية نذكر منها المجامع الأربع الأولى التي اكتملت فيهم العقائد المسيحية وتكون فيهم ما يعرف بقانون الإيمان المسيحي.

4 .2 دور المجامع المسكونية :

تعريف المجامع : هي عبارة عن مجالس شورية في الكنيسة وضع الرسل نظامها ، حيث عقدوا مجمعهم الأول في أورشليم سنة 51م برئاسة يعقوب الرسول أسقفها ، والمجامع نوعان : مجامع مسكونية ومجامع مكانية ، أما المجامع المسكونية فلم تعقد إلا عند ظهور بدع وهرطقات تهم الكنيسة عامة ويستدعي الحال لفحصها ، وإصدار قرارات في شأنها ، وشأن مروجيها ، والمجامع المكانية هي التي كانت ولا تزال الكنائس تعقدها في دوائرها الخاصة من أساقفتها وقساوسها للنظر في الشؤون المحلية [2]، والآن سنتطرق لأهم المجامع التي كان لها دور كبير في تشكيل عقائد المسيحية الحالية .

مجمع نيقية325م : هناك سببان لانعقاده سبب عام ، وسبب خاص ؛ أما السبب العام فهو الاختلاف بين الطوائف النصرانية في شخص المسيح ، أما الخاص فهو بدعة آريوس الذي نادى" بأن يسوع المسيح ليس أزليا وانما هو مخلوق من الآب ، وأن الابن ليس مساويا للآب في الجوهر لأن ألوهيته مكتسبة من الآب " في حين تؤمن الكنيسة بأن يسوع المسيح قد ولد من الآب ، لا من العدم ، وأنه مساو له في الأزلية و في الجوهر " ، وكان رأي الأغلبية يقول بعدم ألوهية المسيح ، لكن رأي الملك قسطنطين الذي أقام المجمع وتدخل في مجرياته كان يقضي بألوهية المسيح فخرج المجمع بالقرارات التالية :

قرر المجمع ألوهية المسيح ، وأنه من جوهر الآب ، وأنه قديم بقدمه ، وأنه لا يعتريه تغيير ولا تحول .

طرد كل من يخرج عن هذه العقيدة .

كما حكم المجمع على آريوس بحرمانه ، ونفيه وحرق كتبه .

اختار المجمع الكتب المقدسة التي لا تتعارض مع القرارات وحرق ما عداها .[3]

مجمع القسطنطينية الأول : انعقد هذا المجمع سنة 381م وكان سبب انعقاده هو الجدال الذي قام حول طبيعة روح القدس أهو اله أم روح مخلوق ، وكان من الذين جهروا بعدم ألوهية روح القدس وأنه مخلوق مصنوع مقدونيوس وأتباعه .

مجمع أفسس :431 م انعقد هذا المجمع لمواجهة قول نسطور أسقف القسطنطينية الذي قيل عنه : انه كان يقول بأن المسيح له طبيعتان :طبيعة الاهية وطبيعة إنسانية بشرية ، وأن مريم والدة الإنسان وليست والدة الإله فعقد المجمع في مدينة أفسس سنة 431

[1] أبكار السقاف : الدين في مصر والعصور القديمة عند العبريين ، ط1 ، دار الانتشار العربي ، بيروت ، 2000 ، ص 82.

[2] لوقا الأنطوني : المجامع المسكونية الثلاثة و أبطالها ، ط1 ، دار الجيل ، 1994 ، مصر ، ص 8 .

[3] سلطان عبد الحميد سلطان: المجامع النصرانية ودورها في تحريف المسيحية، ط1، دار الأمانة، مصر، 1990، ص 89 .

م بحظور مائة وستين أسقفا ، وقرر فيه أن المسيح اله وإنسان ذوطبيعة واحدة ، وأقنوم واحد ، وأن مريم أم الإله وحكم على نسطور بالطرد من الكنيسة .[1]

مجمع خلقدونية: سنة 451 في هذا المجمع عادوا للبحث في طبيعة المسيح وقرر المجتمعون أن المسيح له طبيعتان : طبيعة الإلهية وطبيعة بشرية بلا اختلاط ولا تحول ، ولا انقسام ، ولا انفصال وكان المناصرون لهذا القول هم الأساقفة الغربيين الذين لعنوا وطردوا من لا يقول بهذا القول ، ولم توافقهم الكنائس الشرقية على هذا ، وقد أصروا على قرارهم السابق في مجمع أفسس بأن المسيح له طبيعة واحدة إلهية ، وبشرية وهذا من أهم الفوارق بين الكاثوليك القائلين بالطبيعتين ، والأقباط والأرمن والسريان القائلين بالطبيعة الواحدة .[2]

وبهذا حسم مجمع خلقدونيا الموقف الخريستيولوجي بصفة نهائية مؤكدا نظرية الطبيعيتين في المسيح ، ومع ذلك الجدال لم يتوقف ما اضطر يوستيانوس الأول إلى عقد مجمع القسطنطينية الثاني (553م) من أجل إعادة صوغ قرارات مجمع خلقيدونيا ، والتشديد بصورة أكثر وضوحا على ألوهية يسوع المسيح ، وخلال هذا المجمع تمت إدانة الهرطقة الأوريجينية بشكل صريح وقطعي .

نستنتج مما سبق أن قرارات المجامع كانت محسومة منذ البداية وتم عقد هذه الأخيرة شكليا لإعطائها الصفة القانونية وبهذا يتهم بالهرطقة كل من يخالف تعاليمها وينفى وتحرق كتبه .

4 .3 دور القديس بولس :

هناك العديد من الشخصيات البارزة والمؤثرة في المسيحية لكن نستطيع أن نجزم بأن شخصية بولس لم تغير فقط في هذه الديانة بل أعادت صياغة ديانة جديدة تقوم على منظومة فكرية سنتعرف على ملامحها من خلال دراسة شخصية بولس ومنابع فكره :

الإسم الأصلي لبولس هو "شاؤول" ، وهو كما يبدو من سيرته شخصية تآمرية ذات عبقرية عقائدية ، ويظهر أنه كان ينفذ تعاليم المحكمة اليهودية العليا " السنهدرين[3] " ، بحيث كان أستاذه عمناؤيل أحد أعضائها ، وقد اشتهر أول حياته باءضطهاد المسيحيين[4] ، ثم تحول فجأة ليصبح الشخصية المسيحية الأولى ، والقطب الكنسي الأعظم ، ومنذ ظهوره إلى الآن لم يحظى أحد في تاريخ الكنيسة بمثل ما حظي به من التقديس والإجلال ، إلا أن أحرار المفكرين لم يخفو عداوتهم له ، حتى إن الكاتب الانجليزي بنتام ألف كتابا اسماه "يسوع لا بولس " ، ومثله غوستاف لوبون "في حياة الحقائق " أما المؤرخ ويلز وهو من المعتدلين فقد كتب فصلا سماه "مبادئ أضيفت إلى تعاليم يسوع " ، قال فيه : و ظهر للوقت معلم آخر عظيم يعده كثير من النقاد المعاصرين المؤسس الحقيقي للمسيحية ، وهو شاؤولالطرسوسي أو بولس ، والراجح أنه كان يهودي المولد ، وان كان بعض الكتاب ينكرون ذلك ، ولا شك في أنه تعلم على أساتذة من اليهود ، إلا أنه كان متبحر في لاهوتيات الاسكندرية الهيلينية ؛ وهو متأثر بطرائق التعبير

---

[1] محمد أبو زهرة : محاضرات في النصرانية ، ط4 ، الرئاسة العامة للبحوث العلمية ، الرياض ، السعودية ، 1984 ، ص 162 .

[2] مرسيا الياد ، يوان ب . كوليانو : معجم الأديان تر : خليد كدري ، ط1 ، دار مؤمنون بلا حدود ، بيروت ، لبنان ، 1990 ، ص 318 .

[3] السنهدرين : صيغة عبرية للكلمة اليونانية " سندريون " وتعني " مجلس " وقد كان هذا الإسم يطلق على الهيئة القضائية العليا المختصة بالنظر في القضايا السياسية والجنائية والدينية المهمة في المناطق التي كان يعيش فيها اليهود وكان السنهدرين بمنزلة المحكمة ، لذا يسمى بالمكمة العليا حيث يطبق العدالة ويصدر الأحكام طبقا للشريعة اليهودية في ذلك الوقت : نقلا عن أنوار المعرفة اليهودية .

[4] أعمال الرسل : ا :8: 9

الفلسفي للمدارس الهيلينستية ، وبأساليب الرواقيين ، ومن الراجح أنه تأثر بالمثرائية إذ هو يستعمل عبارات عجيبة الشبه بعبارات المثرائية ، ويتضح لكل من يقرأ رسائله المتنوعة جنبا إلى جنب مع الأناجيل أن ذهنه كان مشبعا بفكرة لا تبدو قط بارزة قوية فيما نقل عن يسوع من أقوال وتعليم ألا وهي فكرة الشخص الضحية الذي يقدم قربانا لله كفارة عن الخطيئة ، فما بشر به يسوع كان ميلادا جديدا للروح الإنسانية أما ما عمله بولس فهو الديانة القديمة ديانة الكاهن والمذبح ، وسفك الدماء طلبا لاسترضاء الإله ".[1]

ولم ير بولس يسوع قط ، ولبد أنه استقى معرفته بيسوع وتعاليمه سماعا من التلاميذ الأصليين ، ومن الجلي أنه أدرك الشيء الكثير من روح يسوع ومبدأه الخاص بالميلاد الجديد ، بيد أنه أدخل هذه الفكرة في صرح نظام لاهوتي بأنه وجد الناصريين ولهم روح ورجاء وتركهم مسيحيين لديهم بداية عقيدة .

ولندع الآن كل التأثيرات والثقافات التي عرفها بولس ، باستثناء واحدة منها هي لاهوتيات الإسكندرية التي كان منجرفا فيها ، ومعلوم أن هذه اللاهوتيات هي المدرسة الفلسفية المسماة الأفلاطونية الحديثة التي أشرنا سابقا إلى عقيدتها الثالوثية ، وعنها نقل بولس فكرة التثليث ،والتعديل الذي أدخله على الأفلاطونية شكلي فقط : فالمنشيء الأزلي الأول فيها يقابله عنده الله : الآب والعقل المتولد عن المنشيء الأول يقابله عنده يسوع "الابن" ، و"الروح الكلي يقابله روح القدس " [2]، ثم انه صار شوطا أبعد من ذلك ، فاستعار من المثرائيين فكرة الخلاص ، وجعل القربان الضحية هو الأقنوم الثاني " الابن " ، ثم إن الكنيسة أكملت المسيرة فأضافت إلى فكرة الخلاص فكرة تقديس الخشبة التي صلب عليها المخلص ، وهكذا تتابعت البدع ، وكان نتيجة ذلك أن دفنت التعاليم الأصلية بطريقة تكاد تكون غير محسوسة تحت تلك الإضافات المألوفة .[3]

بهذه الطريقة وبغض النظر عن الأهداف والدوافع الخفية هدم بولس عقيدة التوحيد ، وأوقع أتباع المسيح فيما كان قد حذرهم منه أبلغ تحذير ، واكتسبت تعاليم بولس الصفة الشرعية المطلقة بقيام أحد أتباعه بكتابة الإنجيل الرابع المنسوب إلى يوحنا الحواري ، والذي قال عنه جيبون أنه فسر نظرية الكون الأفلاطونية تفسيرا مسيحيا ويظهر أن يسوع المسيح هو الكيان الذي تجسد فيه الكلمة أو العقل الذي تحدث عنه أفلاطون والذي كان مع الله منذ البدء .نصل من خلال ما سبق أن الديانة التي جاء بها بولس غير ديانة المسيح بل هي مسيحية جديدة تجعل من المذبح والكاهن طقوسا لها وهي مظهر من مظاهر الديانات الوثنية .

4 .4 دور الإمبراطورية الرومانية :

بعد مرسوم ميلانو الذي كان بمثابة خطة سياسية توجه فيها الإمبراطور قسطنطين إلى اعتناق المسيحية ،وهذا من أجل بسط نفوذه على جميع رعاياه ، قام بإصدار بعض الامتيازات للمسيحيين نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر :

إصدار مراسيم العفو والسماح عن النصارى ، وإعطاؤهم الحرية الدينية الكاملة وإلغاء جميع الأوامر السابقة ضدهم

إطلاق صراح كل المسجونين من السجون والمناجم أو الحرف التي أمر بالاشتغال بها .

---

[1] هـ .ج ويلز : معالم تاريخ الانسانية ، تر : عبد العزيز توفيق جاويد ،م3 ، ط3 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، 1963 ص706/705

[2] وهذا مستمد من نظرية الفيض عند أفلاطون التي ترى بوجود واجب الوجود وعنه يتولد العقل الفعال الذي فسر في المسيحية على أنه الكلمة أي الابن .

[3] ادوارد جيبون : اضمحلال الإمبراطورية الرومانية ، تر :محمد علي أبو درة ،ج1 ،ط2 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر، 1997 ، ص 611.

إعفاء القسس من الضرائب .

استرجاع جميع الذين حرموا من وظائفهم في الجيش والخدمة الملكية .

بناء الكنائس وتشييدها على حساب الدولة .

تقريب الأساقفة وجعلهم مستشارين الدولة .

الأمر باء عادة جميع ممتلكات النصارى وأموالهم .

ترك الكنيسة لتتولى شؤونها .

أجاز للكنيسة امتلاك الأرض وقبول الهبات ، وأصبحت الكنيسة هي الوريثة لأملاك الشهداء الذين لم يعقبوا ذرية .جعل يوم الأحد يوم العطلة الرسمية للدولة .[1]

هذا ما جعل الناس يقبلون على المسيحية ، بالمقابل كان للدولة الرومانية أثر كبير في تأسيس العقائد المسيحية وذلك من خلال :

السماح للنصارى بحرية التعبير عن عقائدهم ، وإظهار شعائر عبادتهم ، وهذا القدر من الحرية سمح لهم بنشر عقائدهم القائمة على تقديس المسيح حتى انتشرت في رقعة كبيرة من أرجاء الدولة الرومانية ، وكان انتشارها في هذه المرحلة عن طريق الاحتكاك المباشر بين النصارى وبين أصحاب الديانات الأخرى .

تبني الدعوة إلى عقد المجامع المسكونية بهدف حسم الخلافات العقدية وإعطاء هذه المجامع نوعا من الشرعية لتصبح ملزمة للجميع بحكم أنها تثبت من خلال هذه المجامع .

فرض هذه العقائد بقوة السيف ، من خلال السلطة التي تملكها الامبراطورية ، وقد حدث هذا الأمر في مجمع نيقيا ، وبسببه انتشرت المسيحية في أكبر رقعة من العالم في ذلك الوقت ، وإذ كانت العقائد التي قررتها تلك المجامع تقوم على تقديس الأشخاص لا سيما المسيح فإن هذه المجامع تعد من الأسباب الرئيسة في تأسيس تقديس الأشخاص عند النصارى .[2]

5 . آثار التقديس:

5. 1 آثار التقديس الفكرية العقدية :

أ – تشكل قانون الإيمان النقاوي :

يعتبر قانون الإيمان أساس العقيدة المسيحية لكونه قانون يشمل العقائد المسيحية كلها ويحتج المسيحيون به في معرض حديثهم عن تأصيل العقائد المسيحية .

–أسباب وضع قانون الإيمان المسيحي :

إن وضع قانون الإيمان المسيحي جاء بمثابة رد فعل على القس الليبي آريوس الذي رفض القول بأن المسيح هو الخالق واعتبره مخلوقا ، فكان يقول "إن الله واحد فرد غير مولود ولا يشاركه أحد في ذاته تعالى ، فكل ما كان خارجا عن الله الأحد إنما هو مخلوق من لاشيء باء رادة الله ومشيئته ".[1]

---

[1] أندرو ملر، مختصر تاريخ الكنيسة، نقلا عن ويل ديورنت : قصة الحضارة ، ط1 ، ج 389/11 ، دت ، ص 150 .

[2] موسى بن عقيلي بن أحمد الشيخي : تقديس الأشخاص عند النصارى وآثاره ، رسالة ماجستير ، جامعة أم القرى ، السعودية ، 2008 ص151

وبهذا يكون قد اتضح أن آريوس قد أنكر لاهوت المسيح واعتبر المسيح مخلوقا وليس خالقا وهذا هو سبب انعقاد مجمع نيقيا الذي ذكرناه سابقا الذي فيه وصل المجتمعون إلى صياغة قانون الإيمان المسيحي الذي هو
كالتالي :

"نؤمن باءله واحد الله الأب ضابط الكل خالق السماء والأرض ، مايرى وما لا يرى ، نؤمن برب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الأب قبل كل الدهور نور من نور اله حق من اله حق مولود غير مخلوق مساو للآب في الجوهر الذي به كل شيء هذا الذي من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء تأنس وصلب في عهد بيلاطس البنطي تألم وقبر وقام من بين الأموات في اليوم الثالث كما في الكتب وصعد إلى السماء وجلس على يمين أبيه وأيضا يأتي في مجده ليدين الأحياء والأموات الذي ليس لملكه انقضاء".[2]

وقد كان هذا القانون نتيجة للعقائد التي قررتها المجامع الأربع الأولى .

ب -**تشكل العقائد المسيحية** :

لقد كان للتقديس آثار جلية على الكنيسة وعلى الفكر المسيحي نذكر منها :

عقيدة التليث : تزعم المسيحية أنها فريدة حيث وضعت عقيدة التثليث : الله (الآب) ، الابن ، الروح القدس ، وتطورت هذه العقيدة منذ عهد بولس الذي رفع قدر يسوع من إنسان إلى اله وابن اله ولكن كان أقل من الآب وهو يخضع للآب الذي أرسله ويطيعه ويسمع له وينفذ إرادته ، ويقول بولس في رسالته لأهل كولوسي : إن يسوع هو سيد الكنيسة ورأسها ، وأنه كان دائما اليد اليمنى لله منذ بدأ الخليقة ولقد سرت ملأة الله أن تسكن فيه ، ولم تنقسم بين عديد من نسله الروحي وأحبائه المفضلين ، يتكلم بولس على لسان يسوع أن الله أرسله بشكل جسد خطأ.[3]

ورغم ذلك فإن الأناجيل الأربعة (ما عدا بعض الفقرات في إنجيل يوحنا خاصة تصور يسوع الناصري كما يقول الأب سيداروساليسوعي في كتابه (تكوين الأناجيل) بصورة بشرية عادية ، وهو نفسه لا يدعي سوى أنه بشر ، رسول من عند الله ، وله معجزات شفاء المرضى وتكثير الطعام ، وإقامة بعض الأشخاص بعد موتهم ، ولكنه لا يعلم متى الساعة ، ولا يعلم حتى انه المسيح فضلا عن أن يكون ابن الله والأقنوم الثاني في التثليث المسيحي (الله الآب ،يسوع ، وروح القدس) وكل واحد منهم هو إله منذ الأزل وإلى الأبد ، وهو أمر يصعب فهمه ، ولا يمكن أن يتصور من الناحية العقلية ، ولا وصول إليه إلا بنعمة الإيمان .[4]

عقيدة التجسد : المقصود بكلمة " التجسد "هو ظهور الله في جسد بشري ، أي أن الذي جاء إلى عالمنا هو الله نفسه ، ابن الله الذي مع الآب والروح القدس جوهر واحد : اله واحد .[5]

---

[1] كارل أوتو آبل : التفكير مع هابر ماز ضد هابر ماز ، تع : عمر مهيبل ، ط1، الدار العربية للعلوم ، بيروت، 2005 ، ص 34.

[2] لويس غرديه و جورج قنواتي : فلسفة الفكر الديني بين المسيحية والإسلام ، تع : الشيخ صبحي الصالح ، فريد جبر ج2 ، دار العلم للملايين دت ، ص 278 .

[3] محمد علي البار : دراسات معاصرة في العهد الجديد والعقائد النصرانية ، ط2 ، دار القلم ، دمشق ، 2011 ، ص 268 .

[4] محمد علي البار: المرجع نفسه ، ص 269 .

[5] متياس فريد وهبة : التجسد معناه وأهدافه ، دط ، كنيسة العذراء بالفجالة ، القاهرة ، مصر ، 1998 ، ص 7 .

ويغوص البابا اثناثيوس في معنى التجسد فيقول : فلا يتوهمن أحد بأنه محصور في الجسد أو أن كل مكان آخر أصبح خاليا منه بسبب حلوله في الجسد ، أو أن العالم أصبح محروما من عنايته وتدبيره طالما كان يحرك الجسد ، ولكن ما يدعو الى الغرابة والدهشة أنه هو "الكلمة" الذي لا يحويه مكان ، فإنه هو نفسه يحوي كل الأشياء ، وبينما كان حاضرا في كل الخليقة فقد كان يتميز عن سائر الكون في الجوهر وحاضرا في كل الأشياء بقدرته ، ضابطا كل الأشياء ، ومظهرا عنايته فوق كل شيء ، وواهبا الحياة لكل شيء ، مالك الكل دون أن يحد ، بل كائنا في أبيه وحده كليا .[1]

ويعرفه القديس كيرلس في تعريفه للتجسد :" إن الله هو ملك السماوات والأرض ، قد تنازل وأخذ جسدا إنسانيا فاتحد بطبيعتنا ، وظهر بيننا على الأرض ، والتجسد الإلهي يعني أن الله غير المنظور (غيرالمرئي) قد صار منظورا في جسد الإنسان و أيضا يعني أن الله تواضع جدا فينا وأخلى ذاته وأخذ جسدا : "أخلى نفسه آخذا صورة عبد صائرا في شبه الناس ".[2]

وبالتالي توصف المسيحية بأنها إيمان تجسدي ، ويمكن فهم الجملة هذه بمعنى ضيق أو فضفاض ، فالمعنى الفضفاض يشخص المسيحية كدين يتصل الإنسان فيه بالله عن طريق العالم المادي بدل الهروب منه ، أما المعنى الضيق فيشكل تشخيص للمسيحية كإيمان مرتكز على معتقد يؤكد تجسد الله في الفرد المعين "يسوع الناصري " ، وليس من الضروري ربط الإيمان التجسدي بهذا المعنى بالتصنيفات المحددة في التعريف الصادر عن مجمع شالسيدون ، ولكنه يؤكد أن يسوع الناصري يزيد بالمعنى المحدد للكلمة ، في كونه بشرا بالمعنى الكامل ، فهو وحده" أيضا إله كامل" الشخص الثاني الأقنوم الثاني من الأقانيم المتساوية الثلاثة ، وهناك عدة أسئلة تطرح : هل الإيمان التجسيدي بالمعنى الثاني الضيق هو في الواقع ضرورة أساسية للمسيحية ؟، هل من الممكن وجود مسيحية دون تجسد ؟.[3]

يقول موريس وان : "وفي النهاية نستطيع الإجابة عن هذه الأسئلة بالعودة إلى الأفكار المعقدة المتشابكة ، والملازمة لعقيدة التجسد وفكرة التخلي عنها بإعتبارها مجرد ادعاء ميتافيزيقي أساس متين لين يؤثر على بنية الإدعاءاتالدينية الأخرى ، وبالتالي نصل إلى فكرة مفادها أن للأسطورة دور كبير في تشكيل هذه العقيدة وإعطائها صور نمطية وتقليدية في المجتمع المسيحي .[4]

عقيدة الصلب والفداء : تقوم هذه العقيدة على فكرة : " أن الله محبة" ، ومحبة الله ظهرت في تدبيره طريق الخلاص للعالم ، لأن العالم منذ عهد سقوط آدم في الخطيئة ، وهبوطه هو وبنيه إلى الدنيا ، مبتعد عن الله بسبب تلك الخطيئة ؛ ولكن الله من فرط محبته وفيض نعمته رأى أن يقربه إليه بعد هذا الابتعاد ، فأرسل لهذه الغاية ابنه الوحيد إلى العالم ليخلصه من الخطيئة التي ارتكبها أبوهم آدم ، وقد جاء في إنجيل لوقا : "وإن ابن الإنسان قد جاء لكي يطيب ويخلص ما قد هلك " فبمحبته ورحمته قد صنع طريقا للخلاص ،لهذا كان المسيح هو الذي يكفر عن خطايا العالم ، وهو الوسيط الذي وفق بين محبة الله تعالى ، وبين عداه ورحمته ، إذ أن مقتضى العدل أن الناس كانوا يستمرون في الابتعاد عن الله بسبب ما اقترف أبوهم ، ولكن باقتراف العدل بالرحمة ، وبتوسط

[1] أثناثيوس الرسولي : تجسد الكلمة ، تع : مرقص داوود ، ط5 ، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية ، القاهرة ، مصر ، دت ، ص 60 .

[2] موقع الأنبا ثكلا همانوت ، التجسد الالهي في فكر القديس كيرلس الكبير ،st-takla.org، 15 /09/ 2020 / 15:20

[3] جون هك وآخرون : أسطورة تجسد الاله في السيد المسيح ، تع : نبيل صبحي ، ط1 ، دار القلم ، الكويت ، 1985 ، ص26 .

[4] جون هك وآخرون :ا لمرجع نفسه ،ص 27 .

الابن الوحيد وقبوله للتكفير عن خطايا الخلق قرب الناس من الرب بعد الابتعاد ، وقد كان التكفير الذي قام به المسيح هو الصلب ، ولكنه قام بعد ثلاثة أيام من قبره ، ويقولون أنه قد أنبأ بذلك قبل صلبه .[1]

يقول دوان "إن تصور الخلاص بواسطة تقديم أحد الآلهة ذبيحة فداء عن الخطيئة قديم العهد جدا عند الهنود الوثنيين وغيرهم ، وذكر أن هذا الطقس عند الهنود سابق لعصر الفيداك ، وكتاب الرج فيدا يمثل الآلهة يقدمون (بروشا) أي الذكر الأول قربانا ويعدونه مساويا للخالق .

وجاء في كتاب (أسباتابراهمانا) ما نصه : والعالم كهذه الذبيحة (بروشاميدا) أي ضحية الذكر الأول يصير كل شيء "

وكان الوثنيون يقدمون البشر ذبيحة أيضا ، والغالب فيهم تقديم الأرتا ، والأسارى ذبيحة فداء عن الخطيئة ، وليس هذا فقط بل ويقدمون أولادهم أيضا.[2]

وكان الرومان واليونان يقدمون أنفسهم ذبيحة للآلهة استرضاء لها ، وكانوا في مصر يقدمون من البشر ذبيحة ، تمكنت بهم هذه العادة الشريرة حتى صاروا يقدمون الإبن البكر من أحد العائلات ذبيحة يأخذونه إلى الهيكل في فستات في عالوس ، ويضعون على رأسه إكليلا ثم يذبحونه قربانا للإله كما تذبح الأنعام .[3]

و قال M.WILIAM : " .....يعتقد الهنود الوثنيون بالخطيئة الأصلية ومما يدل على ذلك ما جاء في تضرعاتهم التي يتوسلون بها بعد (الكتارى) وهي : " إني مذنب ومرتكب الخطيئة وطبيعتي شريرة ، وحملتني أمي بالإثم فخلصني ياذا العين الخشنوقية ، يا مخلص الخاطئين ، يا مزيل الآثام والذنوب .[4]

يتضح لنا مما سبق أن العقائد المسيحية ارتكزت على التقديس في استمداد أصولها من الديانات الوثنية .

5 2.آثار التقديس الطقسية الليتورجية :

كما كان للتقديس آثار على الفكر العقدي المسيحي كانت له آثار على الكنيسة وممارساتها الطقسية من بينها:

أ – تقديس الباباوات :

بعد أن أصبحت الإمبراطورية الرومانية عاجزة عن فرض سيطرتها على الدولة والكنيسة معا ، تمكنت الكنيسة الغربية من التفرد بالسلطة بعد أن جمعت لنفسها ثروة طائلة ، وأسست لها نظاما ثابتا سمح لرأس الكنيسة في روما أن يطلق على نفسه لقب "البابا" كامتياز له وهكذا أصبح البابا هو رأس الكنيسة في روما ، وفي الوقت نفسه هو أسقف وبطريرك روما ، ولقب "بابا" مشتق من الكلمة اليونانية (PAPAS) وتعني الأب لأن العامة يسمون الأسقف أبا ، والأسقف يسمي البطريرك أبا ، فسمي البطريرك بابا الذي هو "أب الآباء " ، أو رئيسهم لأنه أب لجميع الأساقفة ، ثم اقتصر اللقب على أسقف روما بشكل خاص وقد استمد البابا مكانته من أهمية مدينة روما كعاصمة للعالم الروماني ذات الماضي العريق محققا بذلك لكنيسة روما السمو والزعامة على بقية

[1] محمد أبو زهرة : محاضرات في النصرانية ،المرجع السابق، ص 98 .

[2] أبو عبد الرحمان الغريب : الجذور الوثنية في عقيدة الصلب والفداء ،المرجع السابق، ص 66 .

[3] ولذلك جاءت حادثة سيدنا إبراهيم – عليه السلام – مع ابنه اسماعيل وبدل ذبح ابنه جاءته الملائكة بكبش وبهذا كان هذا الحدث بمثابة دعوى للقضاء على عادة تقديم القربان البشري للإله التي توارثها الفكر الوثني القديم .

[4] أبو عبد الرحمان الغريب: الجذور الوثنية لعقيدة الصلب والفداء : المرجع السابق ، ص 67 .

أسقفيات الغرب باعتبارها أفضل من غيرها من الكنائس ،وبفضل تنظيمها الكنسي الدقيق تحول منصب الكرسي الأسقفي لروما إلى كرسي للبابوية الذي أصبح أعلى منصب ديني للرعايا الكاثوليك ،مما جعلهم يطلقون عليه كذلك لقب " الراعي " ، وهكذا تمتعت البابوية بالسيادة العليا على الكنائس في مختلف بلدان العالم الغربي ، ومع ازدياد سلطة البابوية ازدادت مكانة البابا السياسية والاجتماعية .

لقد وضع بابا روما نفسه على رأس الكنيسة الكاثوليكية التي تتبعها كافة الكنائس التي تؤمن بزعامة البابا على رأس الكنيسة الغربية كما مهد البابا الطريق لخلفائه الذين أصبحوا يعرفون بخلفاء القديس بطرس الذي نصبه المسيح خليفته على الأرض ، وجعله زعيما للحواريين الإثني عشر الذين أرسلهم ليبلغوا رسالته .[1]

ب – وضع الصور والتماثيل في الكنيسة :

لقد سميت الصور والتماثيل الموجودة في الكنيسة بالأيقونات ، وكلمة أيقونة هي تعريب لكلمة يونانية تعني صورة أو شبه ، مثال تصنع وفق أساليب محددة وبالنظر إلى اعتبارات لاهوتية معينة ، وهي تمثل شخص السيد المسيح أو أحد السمائيين أو القديس أو مجموعة منهم أو أحد أحداث العهدين القديم أو الجديد ، مدشنة بزيت مسحة الميرون .

وهناك خلاف بشأن الصور التي تجسد الكائنات الحية فكتاب العهد القديم يمنعون بشكل واضح رسم صور للآلهة حسب الباحثة في الدراسات الشرقية سيلفيا نائف ، وفي هذا السياق يمكن الإشارة إلى الجدل الكبير بشأن صور المسيح في القرن الثامن والتاسع ميلادي وكيفية إظهاره أو تحريم تجسيده ، واشتعل الجدل على خلفية تمثيل المسيح وأمه مريم ، ونجحت الكنيسة الأرثوذكسية الشرقية في تجاوز ذلك الجدل ، وهو ما يشرح تقاليدها العريقة في رسومات الأيقونات الدينية والكنائسة .

ويرى يوحنا نسيم يوسف في كتابه الأيقونات القبطية في التاريخ والأدب والطقوس بأن تصوير والتمثيل كان محرما في العهد القديم على بني إسرائيل خوفا من عبادتها بحكم تأثرهم بالمصريين ، ولكنه يستدرك ويقول ولكنه في العهد الجديد أباح استعمالها لكمال عقولهم فاستعملوها في رسم الملائكة والرسل والشهداء والقديسين، هذا وقد أعطى لإباحتها سبب عقلي وسبب وشرعي ، أما السبب الشرعي فبحكم أن المسيح تجسد فوجب تصويره في الصورة التي ظهر فيها لتذكر تضحيته فداء للبشر لذلك كان للأيقونات التي تصوره معاني لاهوتية عميقة نذكر منها : كان يصور والنور محيط بوجهه رمزا لكونه المخلص ، وأما إشارة قبض الإبهام بالبنصر فالمقصود منها مقابلة القوة بالضعف كون الإبهام أقوى أصابع اليد والبنصر أضعفها ، وأما تصوير الثور والحمال يقابلان صورة المسيح عند الولادة وهو ملفوف في المذود فالقصد منها التنويه على نبوة اشعيا ؛ إذ يقول الثور عرف قانيه والحمار عرف مربط صاحبه وبنو إسرائيل لم يعرفوا مخلصهم ، وتصويره قاعدا على كرسي يحمله الأربعة وجوه ذوات الستة أجنحة أي أنه كلمة الله الذي كلم به موسى والأنبياء ورآه حزقيال على هذه الهيئة .

وورد أيضا في زمن ثاوفيلس بطريرك الإسكندرية عملت اليهود صليبا خشبيا ورسموا الإنسان يطعنه مستهزئا به فلما طعنه خرج منه دم وماء إلى أن نزل على الأرض ، وكان ذلك في اليوم الرابع عشر من شهر مسرى ، فأثبت هذا اليوم في التذكرات بديوان الكنيسة ، وما يظهر من الأيقونات والصور .

[1] أحمد تركي الشريدة : نشأة البابوية وتطورها ، مجلة دراسات للعلوم الإنسانية والاجتماعية ، م 45 ، ع4 ، مل 1 ، الجامعة الأردنية ، 2018 ، ص 394/393.

وأما السبب العقلي فان الرسل لما بشرو الأمم وقبل أولئك دعوتهم وآمنوا على أيديهم لم يبعدوهم عن كل عاداتهم بل ما كان موافقا أبقوه وما كان غير موافق أبطلوه .

وكان من جملة عادات حكماء اليونان أن يصوروا في مدارسهم صور جميع العلوم والصنايع العلمية والعملية .[1]

وما نعلمه من موقف المحرمين مأخوذ من أقوال المحللين من أقوال يوحنا الدمشقي وآباء المجمع المسكوني السابع ولم يتفق الآباء المحرمون على موقف واحد ولم يبرموا شيئا باء جماع الكلمة ، فالمعتدلون منهم أبقو على أيقونة السيد المسيح في الكنائس وغيرها شرط أن تبقى عالية بعيدة المنال وشرط أن لايسجد لها ، ولكن معظم المحرمين حرموا كل تصوير مقدس وأوجبوا تحطيمه .

واحتج المحرمون على المحللين بنصوص الأسفار وأقوال الآباء وأهم النصوص التي تذرعوا بها الوصية الثانية :"لا تصنع لك منحوتا ولا صورة شيء مما في السماء من فوق ولا مما في الأرض من أسفل ولا مما في المياه من تحت الأرض " وجاء في سفر التثنية أيضا : " لئلا تفسدوا وتعملوا لكم تمثالا منحوتا على شكل صورة ما من ذكر أو أنثى أو شكل شيء من البهائم التي على الأرض أو شكل طائر ذي جناح مما يطير في السماء أو شكل شيء مما يدب على الأرض أو شيء من السمك مما في الماء تحت الأرض "، والآية بعدها " لا تصنع لك تمثالا منحوتا صورة ما "

وناقش المحرمون وناظروا من طريق اللاهوت فاعتبروا المحللين خارجين على قرارات المجامع المسكونية واقعين في الهرطقة، وتتلخص حججهم في :لا يمكن تصوير اللاهوت بالمادة بما هو زائل وسفلي ، وإذا كان لايمكن تصوير الله بالمادة فإنه لا يمكن تصوير المسيح بالمادة لأنه صورة الآب ، والإشارة هنا إلى الآية التاسعة من الفصل الرابع عشر من إنجيل يوحنا "من رآني فقد رأى الآب" فإذا ما صورناه فإما نصور ناسوتهولاهوته في آن واحد فنخلط الناسوت باللاهوت ونقع في ضلالة نسطوريوس ، وصورة المسيح الوحيدة هي جسمه ودمه في الافخاريستيا .[2]

والغريب حقا أن الفن المسيحي قبل عهد قسطنطين (القرن الرابع ميلادي) كان ضد الصور ، ولاقى الفن المسيحي معارضة شديدة حتى في عهد قسطنطين فقد كتبت أخت قسطنطين إلى البطريركأوزيبوس تطلب صورة للمسيح ولم يكن هناك أسقف أكثر خضوعا للملوك من أوزيبوس ، ومع ذلك فقد رفض طلبها بحدة مفسرا لها الأسس التوراتية والتقاليد في كراهية الكنيسة لعبادة الأصنام .

وقد هاجم بطريريك القدس عام 343 م تصوير عملية الصلب وذلك في موعظته يوم عيد الفصح ، وفي عام 380 م غضب البطريريك أبيفانوس غضبا شديدا لرؤيته صورة المسيح ، ولأحد القديسين معلقة في كنيسة القدس ، فمزقها ورماها أرضا ثم كتب بعد ذلك انتقادا عنيفا للصور والأيقونات التي اعتبرها كالأصنام.

إلا أن احتجاجات رجال الكنيسة الكبار هؤلاء ذهبت أدراج الرياح ، وبرز الفن المسيحي كجزء من عملية مركبة أصبحت من خلالها المسيحية وثنية بصورة واسعة جدا في إيمانها وعبادتها وتنظيمها وتعاليمها الاجتماعية .[3]

---

[1] يوحنا نسيم يوسف : الأيقونات القبطية في التاريخ والأدب والطقوس ، ط1 ، مكتبة الإسكندرية ، الإسكندرية ،مصر ، 2013 ، ص 41/40.

[2] أسد رستم : حرب في الكنائس ، ط5 ، منشورات الجامعة اللبنانية ، بيروت ، لبنان ، 1958 ، ص 35/34.

[3] محمد علي البار : دراسات معاصرة في العهد الجديد والعقائد النصرانية ، المرجع السابق، ص 355/354 .

ج -الحج إلى الأماكن التي زارها المسيح والقديسين :

لم تتطرق الأناجيل لفريضة الحج إلى جهة محددة كما أن عيسى عليه السلام لم ينوه لهذا الواجب الديني ، لكنه عند بلوغه سن الإثني عشر يقال : انه ذهب مع أمه إلى أورشليم تنفيذا لأمر الشريعة اليهودية ، ويخبرنا الإنجيل أنه بعد رفع المسيح عليه السلام إلى السماء بخمس وعشرين عاما أدى بولس حج العنصرة (أعمال الرسل 6:20 ، 11:24) وسجل التاريخ المسيحي الأول لم يشر من قريب أو بعيد إلى ضرورة زيارة الأماكن التي ارتادها وعاش فيها المسيح .

والمسيحيين ينظرون إلى جسد المسيح على أنه بديل عن هيكل اليهود ؛ لذا اقتصروا في البداية على زيارة ما يمثل رمزه ، وهو المكان الذي يمثل صلب المسيح بزعمهم الموجود في كل كنائسهم ، فيعتبرون هذا المكان مكانا مقدسا ، ويعتقدون أن جسد المسيح المصلوب بزعمهم يمثل الذبيحة الكاملة للرب ، والتي تقدس ذاتها بذاتها .

وقد اتجه المسيحيون في رحلة الحج إلى قبور الصالحين ، ثم تحولوا إلى القدس فأخذوا يقصدونها زرافات ووحدانا واتجهوا كذلك في رحلة الحج إلى بيت لحم الذي ولد فيه المسيح ويقصدون كنيسة القيامة ، كما أنهم يحجون إلى كنيستي بطرس وبولس في روما ، وكذلك كنيسة لورد في فرنسا ، ومدينة فاطمة في البرتغال ، وتتم ممارسة الحج عندهم لدوافع مختلفة ، كالحصول على المساعدة الروحية ، أو القيام بفعل تكفيري للذنوب .[1]

وقد تطور الحج في القرن الثالث في الأماكن المقدسة الرئيسية المذكورة في الأناجيل والعهد القديم والتي أشار أوريجانوس إليها خاصة في مشهد آلام المسيح كموقع للقيامة المقدسة .

ثم تطور بشكل خاص في القرن الرابع حيث تم الاكتشاف الأسطوري للصليب المقدس من قبل سانت هيلينا أم الإمبراطور قسطنطين الأول ، وتطور بطريقة غير منظمة من خلال الحج إلى مقابر الشهداء .

ثم بدأت زيارة الأماكن التي يرون أنها مقدسة وكان أشهرها عندهم فلسطين وروما باعتبار أن الأول المكان الذي درج فيه المسيح ، والثاني المكان الذي يضم قبري أعظم قديسين عندهم – بطرس وبولس – ، وكانوا يزورون الأماكن الأخرى كجبل صهيون ، وجبل الزيتون وغيرها .[2]

ثم زاد الاهتمام بالمزارات الدينية عندهم وأضرحة القديسين منذ عهد قسطنطين فشرعت للزيارة طقوسا وأصبحت تجمع التبرعات من جميع أنحاء أوربا .

ومن أهم طقوس الزيارة عندهم ما يلي :

أن الزائر الذي يزور فلسطين يجب أن يغتسل بنهر الأردن ، وبعد ذلك يأخذ غصنا من النخل ليقدمه عند رجوعه كي يضعه الكاهن في المذبح كعلامة لتكميل زيارته ، ومن هنا سمي زوار فلسطين "نخليين " .

كان الحجاج الذين يقصدون فلسطين يمشون حفاة ، ومنهم من لا يلبس إلا قميصا واحدا ، وكانوا يحملون في الصلاة صليبا وعكازا وكيسا من النقود يتناولونها من القسيس .

---

[1] ياسر منير : فريضة الحج دراسة مقارنة ، طريق السلام ، ar.Islamway .net ، 2021 /2/11، 18:38

[2] عبد الرزاق رحيم صلال الموحي : العبادات في الأديان السماوية، ط1، دار الأوائل، دمشق، سوريا، 2001 ، ص 195.

وأما المزارات فقد كثرت بشكل كبير ، حتى أصبح عدد الأماكن المعترف بها أكثر من عشرة آلاف بشهادة المؤرخ ويل ديورنت .[1]

د -تقديس العشاء الأخير :

إن المسيح الذي الذي تحول إلى كبش فداء من أجل البشرية ، نجده أيضا يتحول إلى طعام وشراب من قبل أتباعه ، وهو ما يعرف بسر القربان (الأفخاريستيا) ، وسر القربان أسسه المسيح ذاته ومن واجبات كل مسيحي أن يتناول القربان المقدس على الأقل مرة في السنة في عيد الفصح أو إذا كان في خطر الموت ، ومن شروطه أن يكون الإنسان تائبا عن خطاياه ، صائما عن الطعام والخمر قبل ثلاث ساعات إلا إذا كان مريضا فلا تلزمه هذه الفريضة بالصوم ، ومن المفترض أن القربان المقدس بعد تناول الإنسان له لا يفنى في داخله [2].

جاء في إنجيل متى أن المسيح جلس بين تلاميذه في العشاء الأخير – أي ليلة القبض عليه – فأخذ خبزا وباركه ثم أعطاه تلاميذه وقال :" خذوا كلوا هذا جسدي ثم أخذ الكأس وشكر وأعطاهم و قال : أشربوا منها كلكم لأن هذا هو دمي "[3]

لذا فهم يأتون بفطيرة من الخبز من نوع خاص وصنعة خاصة ، ثم يأخذها الكاهن ويدعو بدعوات ، ثم يوزعها على الحاضرين في الكنيسة ، فيأكلونها وهم يعتقدون تمام الاعتقاد أن هذه الدعوات الكهنوتية قد حولت الفطيرة إلى لحم وجسد المسيح حقيقة ، وأن الخمر قد تحولت إلى كذلك إلى دمه وهم يأكلون ذلك ويشربونه حتى يتحدوا بالمسيح لذلك فبعضهم يصوم قبل العشاء الرباني حتى لا يختلط الاله المسيح بفضلات أمعائه ، وبعضهم لا يتبرع بالدم إلى غير المسيحيين كي لا ينتقل الإله عن طريق الدم إلى آخر.

قال زكي شنودة : " وتعتقد الكنيسة أن سر القربان المقدس يحتوي بحالة ذاتية وجوهرية على جسد ودم نفس لاهوت المسيح ، أي أن الخبز والخمر يستحيلان وينتقلان إلى جسد المسيح ودمه لا على وجه الرمز والإشارة ، ولا بحسب حلول اللاهوت في مادتي الخبز والخمر ، وإنما باعتبار الخبز والخمر يصيران حقيقة وفعلا ، وبحسب جوهرهما جسد الرب ودمه ذاته ".

وهذا أمر غريب وشنيع لا يستطيع عاقل أن يستسيغه ولكن الكنيسة فرضت ذلك على رعاياها ومنعتهم من مناقشته وإلا تعرضوا للطرد والحرمان ، وتعد الكنيسة هذا السر أهم أسرارها بعد التعميد ولا تتسامح فيه بأي حال وكم قتلت على المحرقة من أنفس بريئة بتهمة رفض عبادة القربان المقدس حتى لوكان المتهم امرأة ضعيفة كبيرة في السن ، فعلى سبيل المثال ففي عام 1539 أرسل أسقف كراكو في بولندا إلى المحرقة امرأة في الثمانين من عمرها بتهمة أنها رفضت عبادة القربان المقدس .

وأول من أصل هذه العقيدة الغريبة باسيخيوس في منتصف القرن التاسع في كتابه (جسد الرب ودمه) ،وقد أقر هذه الخرافة المجمع اللاتراني عام 1215 م .[4]

---

[1] موسى بن عقيلي بن أحمد الشيخي : تقديس الأشخاص عند النصارى وأثره ، مرجع سابق ، ص 320.

[2] أسامة عدنان يحيى : السوما / الهاوما والسيد المسيح ، ط 1، دار صفحات للنشر والتوزيع ، سوريا ، دمشق ، 2019 ، ص 216 .

[3] مت : 26 : 26

[4] ابراهيم بن عبد الرحمان الدميجي : العقائد المسيحية في الميزان ، ط1 ، سلسلة " قل يا أهل الكتاب تعالو الى كلمة سواء "، رسالة رقم 11، دت ، ص 253/251 .

ومثل هذا المفهوم لموت عيسى لا ينسجم مع التراث النبوي اليهودي لأنه يعيد الاعتبار للتضحية بالبشر التي نددت بها أسفار العهد القديم ، وكانت التوراة تعتبر التضحية بالحيوان هي البديل الكامل والإلغاء التام للتضحية بالبشر ، وهذا معروف في قصة إبراهيم وابنه الذي أراد أن يضحي به فأبدله الملاك بالخروف .

إن القربان المقدس يعني أن الخلاص هو موت المسيح وسفك دمه ، وفي ذلك عودة إلى الوثنيات القديمة ومجانبة تامة لما في العهد القديم من تعاليم وقد قال المسيح ما جئت لأنقض الناموس .[1]

ويقول أندريه نايتون : قدمت لنا الاكتشافات الأثرية فهما عميقا جدا للعلاقة الوثيقة بين القداس المسيحي وبين الأسرار في الديانات الوثنية القديمة ،و من بين الآثار المكتشفة في بلاد فارس والموجودة حاليا في متحف اللوفر تمثال لأتباع الإله ميثرا نراهم فيه يتناولون الخبز والنبيذ ، ويصف الكاتب الفرنسي فرانز كومون في مجلة علم الآثار لعام 1946 م هذا الأثر قائلا : نظرا لأن لحم الثور كان صعب المنال أحيانا فقد اضطر أتباع الإله ميثرا إلى استخدام الخبز والنبيذ مكان اللحم ، وكانوا يرمزون بذلك إلى لحم معبودهم ميثرا ودمه (تماما كما يرمز المسيحيون اليوم إلى لحم المسيح ودمه بالخبز والخمر).[2]

هـ -تقديس الصليب :

ورد في معاجم اللغة أن الصليب هو الذي يتخذه النصارى على ذلك الشكل المعروف ، والجمع صلبان وصلب ....وثوب مصلب فيه نقش كالصليب.

وجاء في قاموس الكتاب المقدس صلب يصلب صلبا : صلب الضحية تعليقها على صليب تنفيذا لحكم الإعدام فيها ، وكان يتم ذلك بربط اليدين والرجلين به أو بصورة أفضع بتسمير الجسم بالمسامير عن طريق الأجزاء اللحمية

وذكرت الموسوعة العربية العالمية أن الصليب هو: أكثر الرموز المسيحية شيوعا وهو يمثل الصليب الذي صلب عليه المسيح حسب اعتقاد المسيحيين، كما يعتقدون أن هذا الصلب أدى دورا أساسيا في تخليص البشرية من خطاياها، ويعتبرون الصليب علامة الخلاص.

ويقول الأنبا يوأنس : الصليب هو شعار المسيحية، بل هو قلبها وعمقها ....لقد تأسست المسيحية على أساس الصليب وبالصليب.

هذا وللصلبان نماذج رئيسية ثلاثة هي : صليب القديس أندراوس وهو على شكل × وثانيهما بشكل + وثالثهما بشكل السيف وهو المعروف بالصليب اللاتيني ، وقد اتخذت الجماعات المسيحية نماذج مختلفة من الصلبان .[3]

وقد كانت عقوبة الصلب هي العقوبة التي تتم بها معاقبة مواطني الدولة الرومانية من غير الرومانيين من العبيد والمتمردين والمجرمين والقراصنة وأعداء الإمبراطورية .

---

[1] محمد علي البار : دراسات معاصرة في العهد الجديد والعقائد النصرانية ، مرجع سابق ، ص 260 .

[2] اندريه نايتون وآخرون : الأصول الوثنية للمسيحية ، تر :سميرة عزمي الزين ، ط4 ، منشورات المعهد الدولي للدراسات الإنسانية ، دم ، دت ص 61 .

[3] مدي خلف محمد الصغير : الصليب في النصرانية وموقف الإسلام منه ، قسم الأديان والمذاهب ،كلية الدعوة الإسلامية ، جامعة الأزهر ، دت ، ص 5/4 .

كما جاء ذكر الصليب في العهد القديم في الأحداث التالية : في القرن العشرين قبل الميلاد عندما صلب فرعون رئيس الخبازين كقول يوسف له : "في ثلاثة أيام يرفع فرعون رأسك عنك ، ويعلقك على خشبة ، وتأكل الطيور لحمك عنك " .

وفي القرن الخامس عشر قبل الميلاد عندما أمر الرب موسى بصلب رؤساء بني إسرائيل بسبب زنى الجماعة مع بنات بني موآب : " فقال الرب لموسى خذ جميع رؤوس الشعب وعلقهم للرب مقابل الشمس ، فيرتدحمو غضب الرب عن إسرائيل " .

ووفقا للمؤرخ هيرودوتس إن أول من استخدم الصليب هم الفنيقيون الذين استخدمو طريقة الموت صلبا ، وقال البعض إن الفرس هم أول من اخترعوا طريقة الموت صلبا ، ومن الثابت من الكتاب المقدس أن المصريين استخدموا الموت صلبا منذ القرن العشرين قبل الميلاد ، واستخدمها اليهود من القرن الخامس عشر قبل الميلاد ، وكانت فلسفة الصلب أن المجرم لو مات على الأرض فإنه سينجسها بآثامه ، ولذلك يتركونه يموت في الهواء ، وتنهش الطيور الجارحة جسده ، وانتقلت عقوبة الصلب إلى الرومان ، ولكنهم اقتصروها على العبيد ، والقتلة وقطاع الطرق ....إلخ [1]

وتهتم الكنيسة المسيحية بالصليب اهتماما عظيما ، فالصليب هو موضع الحب الإ لهي للبشرية جمعاء برأي الكنيسة ، ، حيث أظهر الله قمة محبته للناس فبذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية [2]

فمعنى كلمة الصليب الروحي عند الكنيسة هو عمل الفداء الذي أكمله الرب يسوع بموته الكفاري ، فهو مات لأجل خطايا الناس مسمرا على صليب العار لكي يهبنا حياة المجد والفخار .

كما أن كلمة الصليب تعني عمل المصالحة ، "صالح السماء مع الأرض ، صالح اليهود مع الأمم ، بل وصالح الكل لنفسه عاملا الصلح بدم صليبه"[3]

والصليب هو أيضا في المسيحية علامة الإنتصار حيث جرد الإبن الحبيب قوات الشر الروحية من رياسات[4]وسلاطين شيطانية جهارا " ظافرا بهم في الصليب ماحيا صك إدانتنا الذي كان ضدا لنا مسمرا إياه بالصليب "[5]

ويرى المسيحيون أن حمل الصليب يشعرهم باقتفاء أثر المسيح ،ففي إنجيل لوقا : "إذا أراد احد أن يأتي ورائي فالينكر نفسه ويحمل صليبه كل يوم ويتبعني " ، فحمل الصليب علامة على الرضى بالفداء ، وأول من جعل الصليب هو قسطنطين ، وإذ لم يعرف عن أحد من قبل تقديسه ، فقد جعل الصليب شعارا لجيشه في حربه مع مكتونيوس ، ثم زعمت والدته هيلانة أنها وجدت الصليب الأصلي فعظمته ، ومن ذلك الحين عظموا جنس الصليب ، مع أن حق الصليب – وفق رواياتهم – الإزدراء والتحقير لا التبجيل والتعظيم ، ثم لماذا الصليب بالذات ؟ فالحمار مثلا قد دخل المسيح أورشليم وهو راكب عليه وهو حي أفلا يكون أولى من الجماد ؟ فإن كان المقصود سيلان الدم عليه فكذلك إكليل الشوك أفلا عبدوا الشوك أو الخل أو المسامير أو الرمح – الذي طعنه به الجندي

---

[1] محمد عبد الرحمان : الصليب في المسيحية كيف تحول من أداة تعذيب رومانية إلى اكبر رمز ديني ، اليوم السابع ، m.youm7.com ، 2021/02/14 ، 01:55 .

[2] كما ورد في يوح: 16 :3

[3] كور 1 : 20

[4] الصليب رمز مسيحي : المعرفة m. marefa .org ، 2/15 / 2021 ، 10:42 .

[5] كور : 2 : 15 ، 14

– أو حتى اليهود وكهنتهم وهكذا وإلا فهو تحكم بلا موجب أو دليل ، والأظهر أنهم اقتبسوه من وثنية المصريين القدماء فقد كان عندهم صليب مقدس جعلوه رمزا للحياة كما في جدران المعابد الفرعونية والمقابر المصرية القديمة .[1]

خاتمة:

نتوصل من خلال هذا البحث إلى النتائج التالية :

–يشكل التقديس معاني لاهوتية عميقة في المسيحية تسمو إلى تطهير النفس من كل الرذائل

لظاهرة التقديس تاريخ يمتد إلى عنصر الرسل .

–كان للديانات الوثنية أثر كبير في ترسيخ التقديس من خلا ل عقائدها المملوءة بالطقوس السرية .

–تعتبر شخصية بولس من الشخصيات التي وضعت المسيحية الجديدة وأعطت لها تفسيرات لاهوتية متشربة من مختلف الفلسفات الشرقية كالغنوصية والأفلاطونية المحدثة .

–كان للإمبراطورية الرومانية أثر بالغ في تقرير العقائد المسيحية حيث جعلتها قانونا يسري على كل الكنائس وكل من يخالفه يكون مصيره اللعن والطرد ويتهم بالهرطقة وتحرق كتبه .

للتقديس في المسيحية نتائج أهمها :

–المساهمة في تشكيل العقائد المسيحية وفي مقدمتها عقيدة التثليث والصلب والفداء والتجسد ومن خلال هذه العقائد تشكل قانون الإيمان المسيحي .

–تعتبر المجامع المسكونية الصورة التي ألبست العقائد المسيحية الشرعية الدينية وقد كانت نتائجها محسومة قبل عقدها .

–كما كان للتقديس آثار ليترجية أولها تقديس البابا وإثبات العصمة له ما جعله يحظى بإمتيازات عديدة توارثتها التقاليد الأبائية .

–وضع الصور والتماثيل (الأيقونات) داخل الكنيسة وهذا خلق حربا بين الكنائس كون الكنيسة رجعت بهذا الطقس إلى عبادات الديانات الوثنية والأصنام وهذا ما حرمه الناموس تحريما قاطعا .

– جعل الأماكن التي زارها المسيح والحواريين مزارت يحج إليها المسيحيين.

–العودة إلى طقوس القربان البشري من خلال تقديس العشاء الأخير واعتبار المسيح كبش الفداء

–وضع الصليب كرمز للمسيحية وبالتالي أصبح يحمل ويعلق في الكنائس ويوضع في البيوت مثل الأصنام.

[1] إبراهيم بن عبد الرحمان الدميجي : العقائد المسيحية في الميزان ، المرجع السابق ، ص 257/256/255 .

قائمة المراجع:

المؤلفات:

- الجمعية الأمريكية العامة للكتاب المقدس، شهود يهوه في فرنسا : الكتاب المقدس، تر : العالم الجديد عن الطبعة الإنجليزية المنقحة، ط 12 ، اليابان، 2004.
- إبراهيم عبد الرحمان الدميجي: العقائد المسيحية في الميزان ، ط1 ، سلسلة "قل يا أهل الكتاب تعالو إلى كلمة سواء" ، رسالة رقم 11 ، دت .
- أبكار السقاف : الدين في مصر والعصور القديمة وعند العبرانيين ، ط1 ، دار الإنتشار العربي ، بيروت ، لبنان 2000 .
- أبو عبد الرحمان الغريب : الجذور الوثنية لعقيدة الصلب والفداء ، ط1 ، دن ، دم ، دت .
- أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري : لسان العرب ن ج1 ، دط ، دار صادر ، بيروت، لبنان ، دت .
- أبي نصر بن حماد الجوهري : معجم الصحاح ، ج3 ، ط1 ، دار الحديث ، القاهرة ، دت .
- أثناثيوس الرسولي : تجسد الكلمة ، تع : مرقص داوود ، ط5 ، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية ، القاهرة ، مصر ، دت .
- إدوارد جيبون : إضمحلال الإمبراطورية الرومانية ، تر : محمد أبو درة ، ج1 ، ط2 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، 1997 .
- أسامة عدنان يحي : السوما / الهاوما والسيد المسيح ، ط1 ، دار صفحات للنشر والتوزيع ، سوريا ، دمشق ، 2019
- أسد رستم : حرب في الكنائس ، ط5 ، منشورات الجامعة اللبنانية ، بيروت لبنان ، 1958 .
- أندريه نايتون وآخرون : الأصول الوثنية للمسيحية ، تر : سميرة عزمي الزين ، ط4 ، منشورات المعهد الدولي للدراسات الإنسانية ، دم ، دت .
- جون هك وآخرون : أسطورة تجسد الإله في السيد المسيح ، تع : نبيل صبحي ، ط1 ، دار القلم ، الكويت ، 1985 .
- سلطان عبد الحميد سلطان : المجامع النصرانية ودورها في تحريف المسيحية ، ط1 ، دار الأمانة ، مصر ، 1990
- شارل جنبير : المسيحية نشأتها وتطورها، تر: عبد الحليم محمود، ط1 ، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، لبنان.
- عبد الرزاق رحيم صلال الموحي : العبادات في الأديان السماوية، ط1، دار الأوائل، دمشق، سوريا، 2001
- كارل أوتو آيل : التفكير مع هابرماز ضد هابرماز ، تع : عمر مهيبل ، ط1 ، الدار العربية للعلوم ، بيروت ، 2005
- لوقا الأنطوني : المجامع المسكونية الثلاث وأبطالها ، ط1 ، دار الجيل ، مصر ، 1994 .
- لويس غرديه ، جورج قنواتي : فلسفة الفكر الديني بين المسيحية والإسلام ، تع : صبحي الصالح ، فريد جبر ، ج2 ، ط1 ، دار العلم للملايين ، دت .
- متى المسكين : العنصرة ، دط ، دن ، دم ، 1960 .

- متياس فريد وهبة : التجسد ومعناه وأهدافه ، دط ، كنيسة العذراء بالفجالة ، القاهرة ، مصر ، 1998 .
- مجموعة من المؤلفين : معجم اللاهوت الكتابي ، ط3 ، دار المشرق ، بيروت ، لبنان ،1991 .
- محمد أبو زهرة : محاضرات في النصرانية ، ط4 ، الرئاسة العامة للبحوث العلمية ، الرياض ، 1984 .
- محمد علي البار : دراسات معاصرة في العهد الجديد والعقائد النصرانية ، ط2 ، دار القلم ، دمشق ، 2011 .
- مدي خلف محمد الصغير : الصليب في النصرانية وموقف الإسلام منه ، قسم الأديان والمذاهب ، كلية الدعوة الإسلامية ، جامعة الأزهر ، دت .
- مرسيا إلياذ ، يوان .ب كوليانو : معجم الأديان ، تر : خليد كدري ، ط1 ، دار مؤمنون بلا حدود ، بيروت ، لبنان ، 1990 .
- موسى بن عقيلي بن أحمد الشيخي : تقديس الأشخاص عند النصارى وآثاره ، رسالة ماجستير ، جامعة أم القرى السعودية ، 2008 .
- هـ . ج ، ويلز : تاريخ معالم الإنسانية ، تر : عبد العزيز توفيق جاويد ، م3 ، ط3 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب مصر ، 1963.
- أندرو ملر، مختصر تاريخ الكنيسة، نقلا عن ويل ديورنت : قصة الحضارة ، ط1 ، ج 389/11 ، دت.
- يوحنا نسيم يوسف : الأيقونات القبطية في التاريخ والأدب والطقوس ، ط1 ، مكتبة الإسكندرية ، مصر ، 2013 .

المجلات:

- أحمد تركي الشريدة : نشأة البابوية وتطورها ، مجلة دراسات للعلوم الإنسانية والإجتماعية ، م 45 ،ع4 ، مل 1 الجامعة الأردنية ، 2018 .

المواقع الالكترونية:

- عدوي بن عبد القادر السقاف : موسوعة الأديان ، الدرر السنية ، www.dorar.net، 2020/10/14،4:46
- موقع الأنبا تكلا هيمانوت : التجسد الإلهي في فكر القديس كيرلس الكبير،st-takla.org ، 2020/09/15 ، 20: 15
- ياسر منير : فريضة الحج –دراسة مقارنة – ، طريق السلام ، ar.islamway ، 2020/02/11 ، 38: 18 .